



مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

مدى النحو

(تجربة ذاتية في تعلم النحو وتعليمه، مع خطوات عملية لدراسته)

سالم القحطاني



FOR TRANSLATION
AND PUBLICATION

مدارج النحو

(تجربة ذاتية في دراسة النحو وتعلیمه،
مع خطوات عملية لدراسته،
وتعريف بجملة من مؤلفاته)

سالم القحطاني





مدارج النحو

(تجربة ذاتية في دراسة النحو وتعليمه،
مع خطوات عملية لدراسته، وتعريف بجملة من مؤلفاته)

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	المقدمة
١٣	الفصل الأول: تجربتي في تعلم النحو
٣٩	الفصل الثاني : تجربتي في تعليم النحو
٤٧	الفصل الثالث: الخطة المقترحة لدراسة النحو
٦١	الفصل الرابع : التعريف بكتب نحوية
٨٧	الخاتمة

﴿هَذِهِ بِضَعْنَا﴾ [يوسف: ٦٥]

«كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعي أمام سحر تلك اللغة».

المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه

* «قَلَ رَجُلٌ أَنَّمَا النَّظَرُ فِي الْعَرْبِيَّةِ، وَأَرَادَ عِلْمًا غَيْرَهُ
إِلَّا سَهُلَ عَلَيْهِ».

أبو زكريا الفراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدَّمةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين :

أما بعد :

فقد أحسن بي الظن جماعة من الإخوة وتكرر السؤال منهم حول (منهج تعلم النحو)، ولما كانت المناهج المدونة حول النحو والصرف كثيرة ومتداولة وكان رأيي -وما زال- في هذه المناهج النحوية وغيرها = أن الأمر فيها واسع، فبأيّها اقتديت، فهي متقاربة، والخطب فيها سهل، ولا يعجبني الإغرارق في هذه المناهج وتتبعها والمقارنة بينها والمفاضلة فيمضي عمر الطالب بحثاً عن المنهج وهو لم يتحرك من مكانه.

ولكن لما تكرر السؤال = أحببت أن أجيب السائل بما هو أعم وأنفع من ذلك^(١)، وألا أجعل الكتاب مقصوراً على (منهج تعلم النحو) وذلك لأنني جعلته منتظمًا في الفصول التالية:

- الفصل الأول: تجربتي في تعلم النحو.
- الفصل الثاني: تجربتي في تعليم النحو.
- الفصل الثالث: الخطة المقترحة لدراسة النحو.
- الفصل الرابع: التعريف بكتب نحوية.
- الخاتمة: وفيها وصايا للمتعلمين والمعلمين.

هذا وقد مكثت أيامًا أفكر وأستشير الناس في عنوان الكتاب، وكان من أحسن المقترفات التي وردتني أن أسميه (مدارج النحو) فاستحسنته على تردد، ثم خطر لي أن أقرأ في الموسوعة بل المكتبة اللغوية الكبيرة (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي، وأنظر ماذا يقول عن هذه الكلمة: (مدارج) فإذا به يقول:

(وهذا الأمر (مدارجة) لهذا أي: متوصلاً به إليه، ومن المجاز: امش في (مدارج) الحق، وعليك بالنحو فإنه مدرجة البيان ...)!

(١) وكان من هدي النبي ﷺ أنه يجيب السائل أحياناً بأكثر مما سأله عنه، وللبلاغيين عناية بهذا المقام وبحث.

فاستبشرتُ خيراً بهذا النص وفرحتُ به، وقلتُ لعلها إشارة ربانية، فاعتمدتُ هذا العنوان، ومن الله القبول والسداد.

وليس كتابي هذا صالحًا للشرعرين فحسب، بل هو صالح إن شاء الله لكل راغب في تعلم النحو، ولا يستغني مثقف عن علم النحو، أياً كان تخصصه، ما دام سينكلم بالعربية أو سيكتب أو سيقرأ فهو مفتقر إلى النحو، يدخل في هذا الصحفي والمذيع والروائي والشاعر والكاتب وهلم جراً.

وفي ختام المقدمة أرجو الله تعالى أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم لا رباء فيه ولا سمعة، وأن يكتب له القبول، والحمد لله رب العالمين.

سالم القحطاني

٢٤ رجب ١٤٤٠ هـ

٣١ مارس ٢٠١٩ م

يوم الأحد - الدوحة

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

تجربتي في تعلم النحو

* «تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل».

شعبة بن الحجاج

البغض الشديد للنحو

كنت قديماً أبغض علم النحو بغضًا شديداً، وقد قرأت أن شيخ العربية في هذا العصر محمود شاكر رحمه الله كان كذلك يبغض العربية، ولست أدرى من الذي زرع في قلبي هذا البغض الشديد، نعم (من جهل شيئاً عاداه)، ولكن أحاب أن أذكر موقفاً محدداً أو شخصاً معيناً كان سبباً في هذه الجريمة وهي بغض العربية= إلا أنني لم أفلح.

هل كانت المناهج المقررة في المدرسة هي السبب؟ أم المدرسون؟ أم أنا؟ أم كل ذلك؟

قد يكون كل ذلك، وقد أكون أنا وحدي من يتحمل ذلك، ولكن الذي يجعلني أرفض الخيار الأخير أو على الأقل أنأشك فيه= أن أصحابي وأترابي الذين كانوا معي في نفس الفصل والمدرسة كانوا يعانون الأَمْرِين من مادة اللغة العربية، ثم مرت

الأيام والسنون فعلمتُ أن الجيل بأكمله يعاني من ذلك ولست أنا وأصحابي فقط .

لقد درست مادة اللغة العربية من الابتدائية إلى الثانوية (أثنى عشرة سنة عجاف) وتركت في الثانوية وأنا لا أفرق بين الاسم والفعل والحرف .

وبدراسة جيدة لكتاب واحد - وهو الأجرامية - وفي أيام معدودة = استطعت أن أعرّب بعض الجمل، فهل يعقل هذا؟ وأين الخل؟

ومع ذلك فما زلت أرى أن الخل مركب من الجميع ومشترك، وما أبرئ نفسي .

لقد كنت أعيش في تلك الفترة، أعني ما قبل ٢٠٠٢م حالة من عدم المبالاة بجميع العلوم والمعارف، وكنت -غفر الله لي- أتخلص من الكتب الدراسية برميها في (النفايات) لأنها كانت تذكرني بالدراسة والمدرسة، لكن بغضبي للغة العربية كان أشد، فمن ذلك أن العادة جرت في قاعات الامتحان أن الطالب إذا لم يعرف الإجابة فالحيلة هي أن يكتب أي شيء لعله يصادف الإجابة الصحيحة، وكانوا ينصحوننا دائمًا بعدم ترك الورقة حالياً بل نكتب أي شيء، من باب (إن لم تنفعك = فلن تضرك) وكنت أفعل هذا مع كل العلوم والمواد، وانتفعت بهذه الحيلة كثيراً، ولكن من شدة بغضبي لمادة اللغة العربية فإني كنت أقلب الورقة

مباشرةً ولا أفكّر حتى في اختراع جواب من رأسي لعله يصيّب، وجرت العادة في أيامنا -فيما ذكر- أن الصفحة التي تكون قبل الأخير مخصصة للإعراب فقط، فإذا وصلتُ عند تلك الصفحة امتعضتُ وقلبتُها مباشرةً دون تفكير أو محاولة، لقد كانت تلك العبارة التي تقول (أعرب ما تحته خط) تجلب لي الهم.

وصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال -يُروى عنه موقوفاً ومروعاً- (أبغضُ بغيضك هوناً ما = عسى أن يكون حبيبك يوماً ما).

مكره أخاك لا بطل

في عام ٢٠٠٢ م تقرّباً منَ الله على بنعمة الاستقامة، وبدأتُ نظرتي للأمور والحياة من حولي تختلف، كنت حينها في السنة الدراسية الأخيرة (الثالث ثانوي).

في هذه الفترة قدر الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أن تعرفت على صديق مبارك في مسجد من مساجد منطقة (الدفنة) -حيث ولدتُ ونشأتُ- وكان في ذلك الوقت يندر أن تجد شاباً متدينًا، فلما رأني أقبل إلى فرحاً ودار بيننا حديث ونصحني بطلب العلم وأن التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض بعد التخرج في الثانوية، وقد صادفت نصيحته قليلاً خاويًا فتمكنتُ، وغني عن القول إنني وقتها لا أعرف ماذا يعني (طلب العلم) بالتحديد، لكن كل الذي فهمته أنني سأكون أقرب إلى الله وأنه سيساعدني على فهم الشريعة.

الصدمة كانت حين أخبرني هذا الصديق أنه يجب عليّ أن أستعد من الآن وأن أهيئ نفسي للدخول إلى الجامعة، وشرح لي

أن المواد في الجامعة دسمة وكبيرة وصعبة، فتحتاج أن تتأسس تأسيساً قوياً قبل دخولك، وإلا فستورط وترجع كما رجع غيرك.

ومن العلوم التي يجب أن تقوى فيها = علم النحو!

وتتابع قائلاً: وذلك لأنهم يدرسون كتاباً كبيراً وصعباً اسمه (الألفية)، ولذلك عليك أن تدرس كتاباً مختصراً قبله اسمه (الآجرمية)!

(نحو - إعراب - ألفية - آجرمية)!

لقد عاد العدو الشرس مرة أخرى للمواجهة، إن النحو الذي تفرّ منه فإنه ملاقيك.

لقد كان كلامه محبطاً لي إلى الغاية، ووجدت صعوبةً وقتها في فهم العلاقة الرابطة بين (الشريعة) و (النحو)، فكنت أقول بكل سذاجة لا تخلو من براءة = أنا أريد أن أتعلم القرآن والسنة، مما علاقة ذلك بـ (ضرب زيد عمرًا)!^(١).

(١) قال السيوطي حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى في شرح ألفيته: «وقد اتفق العلماء على أن النحو يحتاج إليه في كل فن من فنون العلم، ولا سيما التفسير والحديث».

المواجهة الأولى مع النحو

وبالفعل: أخذت بنصيحة صديقي وتابعت كتاب (التحفة السنية شرح الأجرمية) ويممت وجهي نحو شيخ لأدرسه عليه.

كان موعد الدرس تحدياً جديداً بالنسبة لي حيث كان بعد صلاة الفجر، ولم أعتد على الدراسة في هذا الوقت، ولذلك أتخيل أن هذا أول درس أحضره في حياتي.

لقد كان درساً ثقيلاً عليّ مضموناً وزماناً ومكاناً، أما المضمون (فنهو) وحسبك به غثاثة، وأما الزمان فيبعد الفجر مباشرة، وأما المكان فلم يك قريباً من بيتي، لذلك كنت أحتاج أن أستيقظ قبل الفجر لأدرك الصلاة عنده، وكان هذا صعباً جداً على شاب مثلني عرف الاستقامة والتدين منذ أيام فقط.

وما زلت أذكر أنني كنت أنام وأنا أقود السيارة في ظلمة الفجر، وكم من مرة انحرفت بي السيارة ذات اليمين وذات

الشمال فأستيقظ من صوت الحجارة على العجلات ويسلمني الله، وإن كنت الآن (شهيد النحو).

في فترة دراستي للكتاب على هذا الشيخ الفاضل، كنت صادقاً ومخلصاً جداً في رفع الجهل عن نفسي في هذا العلم، لم أكن أبغضه في هذا الوقت، فقد تصالحت معه وعقدت (عقد صلح مؤقت)، لأنني أريد منه أن يدخلني إلى الجامعة ثم ينصرف عنني، فقد كان الدخول إلى الجامعة حلمًا عظيماً بالنسبة لي، وكانت أدعو الله ليل نهار في سجودي كي ييسر لي الدخول فيها، ولا سيما أن نسبتي في الثانوية كانت ضئيلة جداً ولكنني دخلتها بتوفيق الله عَزَّوجلَّ، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

درست الكتاب كاملاً على الشيخ ولما فرغت منه كان لسان حالى كما قال ذاك التلميذ لشيخه:

(أما أنت فجزاك الله خيراً، وأما أنا فلم أفهم منه حرفاً) ^(١).

هل كانت المشكلة في الكتاب أم في أسلوب الشيخ أم في أنا؟ أم المجموع؟

(١) يروى أن رجلاًقرأ على الإمام المازني «كتاب» سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال: (أما أنت فجزاك الله خيراً، وأما أنا فما فهمت منه حرفاً) [البداية والنهاية لابن كثير]

لستُ أدرِي، لكن هذا الذي حصل، وخدعْتُ نفسي أني قد درست الكتاب، ثم درست بعضاً من مسائل الفقه على شيخ آخر، وبعضاً من مسائل أصول الفقه على شيخ ثالث، ثم التحقت بالجامعة.

ودراسة هذه العلوم الثلاثة كانت بتوصية مباركة من الصديق المتقدم الذكر، بغض النظر أني لم أفهم من أصول الفقه إلا مسألة واحدة وهي الأحكام التكليفية الخمسة، وأما درس الفقه فقد كان مأساة حقيقة، ولم أفهم منه إلا أن معنى (الاستنجاء) هو إزالة النجاسة، وما زلت أذكر -ولن أنسى- حينما سخرَ مني الشيخ على جهلي بهذا (المصطلح الفقهي) وكان ذلك أمام طالب آخر، وعلماء التربية يعرفون تأثير هذا على نفسية الطالب، فغفر الله للشيخ وتجاوز الله عنا وعنده.

صعود الجبل دون لياقة

فجأة ودون مقدمات، وجدت نفسي وجهاً لوجه أمام (الألفية)، ولا أحتاج أن أذكرك أني أدرس الألفية في الجامعة وأنا عملياً لا أفرق بين الفعل والفاعل، ليست الطامة في دراستي للألفية على هذه الحال، بل الطامة الكبرى أن الشرح المقرر على الألفية هو كتاب (أوضح المسالك) للعلامة ابن هشام الأنباري، والذي كان يسميه بعض طلاب الكلية -غفر الله لهم- (أوغر المسالك) وهناك تسمية أخرى أشد منها سمعتها من بعض الطلاب ولكن لا أحب ذكرها.

يقولون: (من عرف مصيبة غيره = هانت عليه مصيبته) والاشراك في المصيبة يخفف عليك وقوعها) لقد وجدت معظم الطلاب يعانون ويشتكون من علم النحو، ففرحت بذلك، وخفّ علىّ الأمر، وعلمت أنني لست الوحيد.

من الفصل الأول إلى الخامس = كان دكتورة النحو يشرحون لنا الكتاب كما لو كانت عندنا خلفية عن الدرس، وما هم بملومين في ذلك، فالدكتور ليس مسؤولاً عن تقصيرك أو عدم تأسرك في النحو، فهو سيشرح الألفية مع (الأوضح) لطلاب من المفترض أنهم درسوا قبل ذلك ما لا يقل عن كتابين مختصررين في النحو قبل دخولهم الجامعة، هذا هو المفترض.

ولكن - كالعادة - المفترض شيء والواقع شيء آخر، فطائفة كبيرة من الطلاب - لا أريد أن أقول معظمهم - ليست عندهم خلفية تأسيسية تؤهلهم لدراسة كتاب في مستوى الألفية فضلاً عن شرحه العظيم (أوضح المسالك).

لكن هذا الواقع لم يستمر على ما هو عليه، فقد تداركنا الله برحمته .

سلیمان النحوی

في الفصل الخامس من الجامعة دخل علينا رجل طويل
النجاد عريض المنكبين ، ذو لحية تامة ، وعينين غائرتين تنما عن
ذكاء ، قد رمى «غترته» فوق رأسه كيما اتفق له ، لا يتكلم في
جده وهزله وداخل الدرس وخارجها = إلا باللغة العربية ،
وما سمعته قط يتحدث بكلمة عامية دارجة واحدة طوال فترة
تدریسه لنا ، حتى خليل إلينا أنه أعرابي سقط سهواً في زماننا هذا ،
وهذه الصفة -أعني التزامه للعربية في حديثه- لم أرها عند غيره
من المدرسين ، ومن أخباره في هذا أن الطالب إذا ذكر رقمه أثناء
التحضير (بمعنى أخذ الحضور والغياب) ونطق رقمه باللهجة
العامية مثل (ثلاث طعش)^(١) = فإنه يعتبره غائباً !

الدكتور الفاضل الشيخ أبو عبد العزيز سليمان العيوني له
فضل كبير على من حيث يدرى أو لا يدرى ، فما أنا إلا واحد

(١) أي : ثلاثة عشر .

من مئات بلآلاف الطلاب الذين أخذوا عنه وتأثروا به، ولما من الله على راقم السطور بالتدريس في النحو راسلته وبشرته أني حسنة من حسناته.

كان الشيخ محبوباً من الطلاب، وصاحب طرفة مملوحة، ولغته عذبة، ولم أكن أشعر حينها أنه يتكلف أو يتشدق، بل كان يتكلم بكل أريحية كما يقولون.

ومما أثر بي أني لمست من الشيخ تديناً ظاهراً، وصدقأً في اللهجة، وإخلاصاً في التعليم، وأذكر أنه قرأ علينا طرفاً من كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية ليبرهن لنا أن الدين واللغة روحان في جسد واحد.

لم أدرس على الشيخ أيَّ كتاب من المتون النحوية - خلا المقرر الجامعي - ولكن تأثيره علىِّ كان - إضافة إلى ما تقدم - أنه :

- أقنعنا أن النحو من الدين.

- أن النحو مفتاح لفهم كل العلوم الشرعية، وأقول أنا الآن (النحو مفتاح لفهم كل النصوص العربية قديمها وحديثها)

- ووضح لنا المنهجية الصحيحة لدراسة النحو، وأننا أتينا من عدم سلوك الجادة في التدرج، وأننا لو أتينا الأمر من بابه لفتح لنا .

وفي بداية الفصل الدراسي وضح لنا الشيخ أن معظم الطلاب ليسوا مؤهلين لدراسة أوضح المسالك (المقرر الجامعي)، وفي الوقت نفسه الشيخ ملزم من الجامعة بتدریسه، والوقت ضيق فلا يستطيع أن يترك المقرر ويشرح لنا الآجرافية مثلًا.

فاستقر رأي الشيخ على أن يدرسنا كتيبياً مختصراً جدًا من تأليفه اسمه (الموطأ في الإعراب).

ثم انفرجت الصخرة يسيراً

كان رأي الشيخ سديداً وبالفعل شرح لنا الشيخ كتابه اللطيف في محاضرة أو محاضرتين، ثم اختبرنا فيه كي يضمن ضبطنا له، احتوى كتابه على مقدمات أساسية في علم النحو، ففيه زبدة الرزبة، وحجمه صغير جداً حيث يقع في ورقات معدودات، كما اشتمل -وهذا أهم ما فيه- على ما لا يستغني عنه المعرب المبتدى من المصلحات، وبعبارة أخرى: ما لا يسع المعرب جهله، فمتى تقول (مرفوع) ومتى تقول (في محل رفع)، متى تقول (ضمة) ومتى تقول (ضم) الخ، ومن نظر في كتابه هذا = عرف قيمته، وحسبك أنه استطاع تحريك الصخرة التي كانت جاثمة على صدرى، فانفرجت يسيراً إلا أنني لم أستطع الخروج من الكهف بعد^(١).

(١) في هذا: تشبيه لحالى بحال النفر الثلاثة الذين دخلوا كهفا فأطبقت عليهم الصخرة، والقصة شهيرة رواها البخاري.

بفضل الله ثم على يد هذا الشيخ الموفق وكتابه المبارك تحولت علاقتي مع النحو من بغض شديد إلى حب، نعم لم يكن حبًا شديداً، لكنني بدأت أشعر أنه علم جميل ومفيد، وأنه من الممكن فهمه وضبطه بعد أن كان أشبه بالمستحيل عندي.

مع أبي محمد الظاهري

في إحدى مكتبات الرياض الزاخرة = وقفْتُ -قدراً- على
شرح للاجرمية سماه مؤلفه (أيسر الشروح على الأجرمية) من
منشورات دار ابن حزم، فجذبني عنوانه، و كنت وقتها في أمسّ
الحاجة إلى أيّ كتاب يسهل ويقرب لي هذا العلم، لا سيما
وأني عزمت على سلوك الجادة والتدرج في هذا العلم، بعيداً
عن مقرر الجامعة.

أخذت الكتاب وقرأته بهدوء = فوجدته اسمًا طابق المسمى،
ويأتي بالمسألة بأوضح عبارة وأيسر إشارة دون تكلف، فاغتبطت
بالكتاب وسررت به جداً وانتفعت به انتفاعاً عظيماً، ومنذ ذلك
اليوم وأنا أحرص على مؤلفات هذا الرجل، ثم دارت الأيام
والليالي وكتب الله لي أن ألتقي بالمؤلف والتلمذ على يديه في
مكة المكرمة.

وله شرح على الألفية ميسراً أيضاً سأتحدث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

مع الآجروميه مرة أخرى

في صيف إحدى السنوات الدراسية= رجعت إلى (الدوحة)، وهناك دلني أحد الفضلاء على مركز علمي يديره شيخ موريتاني -على طريقة المحاضر الموريتانية- وهو الشيخ عبد الله العباد، واسم المركز (مركز تميم الداري) الكائن في منطقة (معيدر).

لي في هذا المركز ذكريات كثيرة وطويلة، لذلك سأكتفي منها بما يتعلق بصلب الكتاب كي لا أستطرد.

حين ذهبت إلى المركز -ولعل هذا كان عام ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦- وجدت الشيخ العباد مشغولاً بطلاب آخرين، فأحالني على موريتاني آخر وهو الشيخ (عبد الله ولد أحمد القلقمي الشنقيطي)

بارك الله لي في هذا الشيخ وانزاحت الصخرة بعده كلّاً واستطعت أن أخرج طليقاً، وفي هذا من العبر والفوائد: أن

فلا حَكَ وَانْتِفَاعُكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى يَدِ شِيخٍ خَامِلٍ مَغْمُورٍ لَا يَعْرَفُهُ أَحَدٌ، وَأَلَا تَجْعَلْ تَحْصِيلَكَ مَقْصُورًا عَلَى الْمَشَاهِيرِ الْبَارِزِينَ، وَقَدْ نَصَ عَلَى هَذَا الْغَزَالِيَّ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ جَمَاعَةَ فِي (تَذْكِرَةِ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ).

كان -وما زال- الشِّيخُ عَبْدُ اللَّهِ مَمَارِسًا لِلتَّدْرِيسِ سَنِينَ عَدَدًا، وَعُرِفَ أَنَّ مَعْظَمَ الطَّلَابِ يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّسْهِيلِ قَدْرِ الْمُمْسِطَاعِ، لِذَلِكَ جَعَلَنِي أَقْرَأَ الْمُتَنَّ فَقْطَ مُجْرِدًا عَنْ شِرْحِهِ (الْتَّحْفَةِ السَّنِيَّةِ)، وَبِالْفَعْلِ قَرأتُ عَلَيْهِ الْمُتَنَّ فَحْسَبَ، وَفَهْمَتُهُ فَهْمًا طَيِّبًا، نَعَمْ لَمْ أَفْهَمْ كُلَّ كَلْمَةٍ فِيهِ، وَلَكِنِي اسْتَطَعْتُ بِسَهْلَةٍ أَنْ أُمِيزَّ أَنْوَاعَ الْكَلْمَاتِ الْثَّلَاثَ، وَأَنْ أُعْرِبَ الْجَمْلَ السَّهْلَةَ، وَأَنْ أَقْفَ عَلَى قَدْمِيِّ.

وَكَعَادَةُ الشِّنَاقَطَةِ كَانَ الشِّيخُ مَتَواضِعًا جَدًّا تَواضِعًا لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا لِدِيِّ، وَيَتَمَتَّعُ بِأَخْلَاقِ عَالِيَّةٍ، مَعَ لِينِ الْجَانِبِ، وَقَدْرَةِ عَلَى تَحْمِلِ ضَغْطِ التَّدْرِيسِ، وَأَسْئَلَةِ الطَّلَابِ.

فَلَزِمَتِ الشِّيخُ مَدَةً طَوِيلَةً تِيسِيرًا لِي أَقْرَأَ عَلَيْهِ بَعْدِ الْأَجْرَوْمِيَّةِ عَلَى فَتَرَاتِ طَوِيلَةٍ: مَتَنَ الْقَطْرِ، ثُمَّ شِرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ، ثُمَّ لَامِيَّةُ الْأَفْعَالِ، كَمَا قَرأتُ عَلَيْهِ عِلْمًا أَخْرَى كَالْفَرَائِضِ وَأَصْوَلِ الْفَقْهِ وَغَيْرِهَا بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَالَّذِي يَعْنِيْنَا الْآنُ هُوَ: لِمَا انْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ بِالْكَلِيَّةِ مَعَ الشِّيخِ عَبْدِ اللَّهِ؟!

الجواب من وجوه:

منها: أنه كان لا يستطرد ولا يزيد على ما يذكره صاحب المتن.

ومنها: أنه شرح لي المتن مجرداً دون (التحفة) كما تقدم.

ومنها: أنه كان يجعلني أعرب وأتمرن في كل درس تقريباً.

ومنها: أني جمعت ذهني على كتاب واحد وهو الأجرامية، ولم أشغل نفسي بشيء غيره حتى أنتهي منه.

ومنها: وهو أهم الوجوه أن الدرس كان انفرادياً ولم يكن جماعياً، وهذا أكثر ما نفعني في هذا الدرس، وقد تبين لي بالتجربة أن علم النحو -وكذلك كل علم فيه تمارين وتطبيقات كالصرف والعروض- فإنّ الأفضل أن تدرسه وحدك على الشيخ، وذلك كي تستطيع أن تتدرّب بين يديه، وبهذا تحصل لك الملكة، أما أن تحضر درساً للمبتدئين في النحو ومعك أربعون طالباً فإن الفائدة تكون أقل، لأنّ الشيخ أو الشارح لا يملك وقتاً لجعل الجميع يتمرن أمامه ويُعرّب، فإذا فاتك هذا فقد فاتك خير عظيم، وإنما النحو الإعرابُ، فإذا استطعت أن تُعرب الجمل فقد برهنت لنا أنك فهمت القواعد النظرية التي شرحتها لك.

نصيحة حازمية

في السنة الدراسية الجامعية الأخيرة عام ٢٠٠٧م: كانت الصورة قد اتضحت لي أكثر، و كنت وقتها قد استوّعت الآجرافية بنسبة ٧٠٪ تقريباً، وأذكر أنني شرحتها كاملاً لأحد الإخوة، وكانت تلك المرة الأولى في حياتي التي أشرح فيها النحو، بل ربما المرة الأولى التي أشرح فيها متنًا من المتنون العلمية، و كنت أستعين بشرح الشيخ عبد العزيز الحربي المتقدم.

بعد التخرج من الجامعة انشغلت سنة كاملة (بزاد المستقنع) وهو متن فقهي شهير، وكتاب (بلغ المرام) في علم الحديث، وصادف أن التقى بالشيخ أحمد بن عمر الحازمي في الدوحة، حين زارنا للقاء دورة في أصول الفقه، وبعد الدرس استنصرتُ الشيخ على انفراد، وذكرت له أنني متفرغ حالياً للطلب ومشتعل بالفقه والحديث، فبم تنصحي؟

فقال لي : عليك بالنحو ، فإذا أتقنته ، سهلت عليك جميع
العلوم والفنون .

النحو شغلي الشاغل

أخذت بنصيحة الشيخ، وعزمت على التفرغ للنحو، وقد قال الطناحي رَحْمَةُ اللَّهِ (من انقطع إلى شيء = أتقنه) وأرجو الله أن يرزقنا الإتقان.

رجعت إلى (الأجرامية) مرة أخرى وجمعت عدداً كبيراً من الشروح والحواشي المكتوبة عليه، وكنت أقرأ وحدي، وألخص، وأسأل عما يُشكّل.

الفصل الثاني

تجربتي في تعليم النحو

* «كان ابن عباس رضي الله عنهما يعلمنا اللحن»^(١).

أبو العالية

(١) قيل في معناه: يعلمنا الصواب، وقيل: يعلمنا الخطأ لنجتبه، وهذا الأثر أصلٌ في التعليم اللغوي، وقد رواه أبو بكر الأنباري في إيضاح (الوقف والابداء).

التدريس ... من النعيم المعجل

عملية التعلم هي عملية تراكمية، وقد استفدتُ من كل المشايخ الذين أخذت عنهم النحو، فمستقل ومستكثر، وكل شيخ منهم كان يضع اللبنات التي أتتني بها فيكمل ويبين لي عليها.

لذلك لستُ أنكر فضل أحد من مشايخي عليّ، ولكن في الوقت نفسه لست أبالغ حين أقول إن أعظم وسيلة تعلمتُ من خلالها النحو -بل كل العلوم- وتطور فيها مستواي، وانتقلت نقلة كبيرة= هي وسيلة التدريس، وهي أعظم أثراً عليك في تكوين الملكة من التأليف، وكلاهما مهم ومفيد، ولكن الفتوحات الربانية التي تحصل في حلقة العلم ومجلس التدريس= لا نظير لها، أقول هذا بعد تجربة ومزاولة للتدريس امتدت إلى اثننتي عشرة سنة، وهي وإن لم تكن مدة طويلة جداً، لكنها كافية إن شاء الله كي أقول كلمة في هذا المضمار.

وإن للتدريس على أيادي لا تُحصى، ولو لا أن الله يَعِلُّ
حبب إلى التدريس وشغلني به = لكن نسيت العلم منذ زمن
طويل، ولكن الان أضارب في (البورصة) ومشجعاً متعصباً لأحد
الأندية الرياضية الأوروبية، ولكن الله سَلَّمَ.

أول الغيث قطرة

جلست في المسجد وعقدت حلقة لتدريس الآجرورية، وكان يحضر هذا الدرس مجموعة من الشباب في المرحلة الثانوية، كان هذا الكلام تقريباً عام ٢٠٠٨م وهو أول درس ألقىه في النحو بالدوحة.

كانت طريقي هي التحضير المكثف من الشروح، وكان بعض الإخوة ينتقدني على كثرة الشروح التي أجمعها حول المتن الواحد، والحقيقة أن كثرة الشروح تشتت الطالب، ولكنها لا تشتت المعلم، فلا يخلو كتاب من فائدة، والمسألة التي لم يوضّحها فلان تجدها عند غيره، والعكس، وأما إذا فهمت المسألة من شرح واحد فإني أعتمده ولا أتنقل بين الشروح.

ويحصل ألا أجد حلاً للإشكال في الشروح أو لا يتضح لي جوابهم، فهنا أرجع إلى شيوخي، وكذلك كنت أستشيرهم في طريقة التدريس نفسها.

و كنت أتعب في التحضير وأحتشد كي أكون مستعداً للجواب عن تساؤلات الطلبة - وهي المهمة الأصعب من الدرس نفسه أحياناً - ولا أستنكر بحمد الله إذا سئلت عن شيء لا أعرفه أن أقول (لا أدرى)، ويحملني ذلك على البحث والسؤال.

وبهذه الطريقة شرحت الآجرمية كاملة، وفي الحقيقة كنت أنا المستفيد الأول، و كنت كأنما أشرحها لنفسي، وكان الطلبة خير معين على ذلك، وإنّ من أعظم النعم أن يوفق الإنسان لطلبة يشرح لهم العلم ويسألونه ويباحثونه وإلا لمات العلم واندرس من صدور الرجال، ونصوص السلف في هذا المعنى كثيرة جداً.

لذلك يروي عن بعض السلف أنه إذا لم يجد طالباً يشرح له = فإنه يشرح ل وليس، وربما جاوز حد الظرف فيضربه ويقول له (فهمت؟)

وذكر لي الشيخ أحمد الحازمي بمكة المكرمة أنه مكث برهة من الدهر لا يجد طلاباً يشرح لهم، فكان يجمع الوسادات (جمع وسادة) فيضعها أمامه ويتخيل أنهم طلبة أمامه فيشرح لهم الدرس .

وظلت هذه العادة معه حتى بعد زواجه فكانت تسمعه زوجه^(١) أحياناً وهو وحده في الغرفة يتكلم ويشرح وما معه أحد

(١) وهو الأفضل، ويجوز: زوجته .

من الإنسان، فكانت تظن في أول الأمر أن الشيخ به جنون، حتى
فسرّ لها الأمر.

على كلٍّ ...

لما انتهيت من الآجرافية بهذه الطريقة وجدت أثراها في
نفسى، وانتفعت بذلك انتفاعاً عظيماً، فلزمت التدريس ملازمة
تمامة يومية إلا عطلة الأسبوع، وشرحـت الآجرافية مرات وكرات
بحمد الله، ثم اشتاقت نفسى أن أترقى.

فعلت مثل ذلك تماماً مع (شرح قطر الندى) لابن هشام،
وقد كنت درسته مرتين على الشيخ عبد الرشيد مولوي الهندي في
الرياض، الدراسة الأولى كانت في بيت الشيخ، من جوازـم
المضارع إلى آخر الكتاب، ثم درسته كاملاً مرة أخرى على الشيخ
في خمسة أيام، وكان هذا الدرس الثاني في منزل الشيخ الدكتور
محمد بن عبد العزيز الخضيري.

ودرسته (متن القطر) على الشيخ عبد الله ولد أحمد
كما تقدم، واستمعت إلى شروح صوتية لشرحـ الشيخ عبد الرحمن
كوني وغيره.

ثم شرحتـ الكتاب مراراً، وغالباً يكون الدرس مع شرحـه
لابن هشام، وقلما شرحتـ المتن مجردـاً عن الشرحـ.

ثم جاءت المرحلة الأخيرة وهي الألفية: وفعلت معها كما فعلت مع الكتابين السابقين، حيث أخذت الألفية على جماعة من المشايخ متفرقين، ثم شرحت النظم، وسأذكر إن شاء الله في الخطة المنهجية المقترحة=الطريقة التي أقترحها لضبط هذه الكتب الثلاثة، وبطبيعة الحال لن أقترح على غيري شيئاً لم أجربه، فالخطة هي نتاج التجربة، وعند كلٍ خير.

الفَصِيلُ الْثَالِثُ
الخطة المقترحة لدراسة النحو

* «لو سقط علم النحو سقط فهم القرآن».

ابن حزم الأندلسي

قد أكثر الناس من الكلام والتأليف في مناهج التحصيل ووضع الخطط، ولا مانع من أن نكرر أن هذه الخطط هي من قبيل الاجتهاد، وكل مجتهد فيها مصيب إن شاء الله.

بالنسبة لي: ليست عندي خطة «معجزة»، الخطة التي أقترحها تلخص في دراسة ثلاثة كتب لا رابع لها:

١ - الآجرمية (للمبتدئين)

٢ - شرح القطر (للمتوسطين)

٣ - الألفية (للمتقدمين)

وتقسيمي لهذه الكتب إلى ثلاث طبقات (مبتدئين - متوسطين - متقدمين) هو تقسيم اعتباري فقط، أي باعتبار هذا الزمان البائس الذي نعيشه، وإلا فلو أنصفنا وحققنا الأمر لتبيّن لك أن كل هذه الكتب في الحقيقة هي للمبتدئين في هذا العلم، وأآية ذلك أن الألفية - وهي ألف بيت - ما هي في نظر مؤلفها إلا (خلاصة)!

الخلاصة في تعبيرنا المعاصر أشبه (بالملزمة والمفكرة) فالألفية بالنسبة لبحر النحو = قطرة يسيرة، وإن شئت قل: قطرات فقط.

بل أنا آتيك بما هو أوضح وأشد من ذلك، فمن المعلوم أن الألفية اختصرها مؤلفها من كتاب له آخر ضخم يقع في قرابة

الثلاثة آلاف بيت، ومع هذا نجد ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في مقدمة منظومته الضخمة هذه، والتي سماها (الكافية الشافية) :

وَهَذِهِ أَرْجُوزَةٌ مُسْتَوْفِيَّةٌ عَنْ أَكْثَرِ الْمَصْنُوفَاتِ مَعْنَيهَا

تَكُونُ لِلْمُبْتَدَئِينَ تَبَصُّرَهُ

وَتُظْفَرُ الَّذِي انتَهَىَ بِالْتَّذْكُرِ

فَهِيَ صَالِحةٌ لِلْمُبْتَدَئِينَ فِي زَمَانِهِ، وَيَنْتَفَعُ بِهَا الْمُتَّهِيُّ أَيْضًا.

وعليه: فإذا كنت درستَ الْأَجْرَوْمِيَّةَ وَالْقَطْرَ وَالشَّذُورَ وَالْأَلْفِيَّةَ وَزَدَتْ عَلَيْهَا الْكَافِيَّةُ الشَّافِيَّةُ = فَلَا تَظُنْ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجَتَهِدِينَ وَيَنْتَفَشُ رِيشُكَ عَلَى إِخْوَانِكَ، بَلْ أَنْتَ -عِنْدَ الْأَوَّلِ- مَا زَالْتَ فِي طُورِ التَّعْلُمِ.

هذا بالنسبة لعلم النحو من حيث هو، بقطع النظر عن أي شيء آخر.

فإن قال قائل: لكن هذا الكلام يبعث على اليأس والإحباط، ونحن لا نكاد نفهم هذه الكتب الصغيرة، فكيف سنفهم الكتب الكبار؟ ومتى سنصل في علم النحو إلى (النهاية)؟

فالجواب^(۱): ليس المطلوب منك أصلًا أن تصل في علم النحو إلى عمق البحر لأن ذلك تنقضي دونه الأعمار، وإنما أردتُ

(۱) روي عن النبي ﷺ أنه قال: «وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله، ثم انتهوا» [رواه أحمد]. وهو وإن كان في سنته كلام = إلا أنه صحيح المعنى إن شاء الله.

من كلامي السابق أن علم النحو بحر واسع في نفسه لا تقدره الدلاء، وأن التقسيم الثلاثي المذكور تقسيم اعتبري.

أما طالب العلم الشرعي فإنه يأخذ من النحو حاجته، ولا يُفني عمره فيه، فإن العمر قصير والعلم غزير، ويكتفيه أن يصل إلى مرحلة يضبط فيها شرحاً من شروح الألفية المتوسطة كالأشموني مثلاً، ثم ليس بعد ذلك إلا الممارسة وكثرة المطالعة وتنمية الملكة.

وقد أوصى الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله^(١) بعدم التوغل المفرط في علم النحو واقتصر أن يكتفي الطالب بكتاب (الواضح) للزبيدي الأندلسي - وهو مطبوع في مجلد - أو كتاب (الجمل) للزجاجي - وهو في مجلد أيضاً وشرحه ابن هشام الأنباري - وكذلك الحافظ ابن رجب رحمه الله له كلام قريب من هذا في رسالته المباركة (بيان فضل علم السلف على علم الخلف).

* تنبية:

هذا التقرير يُخاطب به عموم الطلاب، وأما من أراد أن يصل إلى منزلة (الاجتهد) بحيث يناقش الشافعي ومالكا وأحمد وأضاربهم، فتلك رتبة أخرى، ومنزلة عالية لا يصل إليها إلا أفراد

(١) تجد كلامه في رسالته «مراتب العلوم»، و «التلخيص لوجوه التخلص».

من الناس، ومن أراد ذلك فإن هذه المختصرات لا تكفيه، وفي
هذا يقول الشوكاني رحمه الله :

(وَمَنْ جَعَلَ الْمَقْدَارَ الْمُحْتَاجَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْفَنَونَ هُوَ مَعْرِفَةٌ
مَخْتَصَرٌ مِّنْ مَخْتَصَرَاتِهَا، أَوْ كِتَابٌ مُتَوَسِّطٌ مِّنَ الْمُؤْلِفَاتِ الْمُوْضِوَعَةِ
فِيهَا، فَقَدْ أَبْعَدَ، بَلْ الْاسْتِكْثَارُ مِنَ الْمَمَارِسَةِ لَهَا، وَالْتَوْسُعُ فِي
الْاِطْلَاعِ عَلَى مَطْوِلَاتِهَا، مَا يَزِيدُ الْمُجْتَهَدُ قُوَّةً فِي الْبَحْثِ،
وَبَصَرًا فِي الْاسْتِخْرَاجِ، وَبَصِيرَةً فِي حَصْولِ مَطْلُوبِهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ
لَا بُدُّ أَنْ تَثْبُتَ لِهِ الْمُلْكَةُ الْقَوِيَّةُ فِي هَذِهِ الْعِلُومِ، وَإِنَّمَا تَثْبُتُ هَذِهِ
الْمُلْكَةُ بِطُولِ الْمَمَارِسَةِ، وَكَثْرَةِ الْمَلَازِمَةِ لِشِيوْخِ هَذِهِ الْفَنَونِ).

وَمِنْ قَبْلِهِ قَالَ الشَّاطِئِي رحمه الله كَلْمَتَهُ الشَّهِيرَةُ :

(وَإِذَا فَرَضْنَا مُبْتَدِئًا فِي فَهْمِ الْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ مُبْتَدِئٌ فِي فَهْمِ
الشَّرِيعَةِ، أَوْ مُتَوَسِّطًا فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، وَالْمُتَوَسِّطُ
لَمْ يَبْلُغْ دَرْجَةَ النِّهايَةِ، فَإِذَا اَنْتَهَى إِلَى الْغَايَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَانَ
كَذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ).

أَمَّا شَرْحُ تَلْكَ (الْخَطَّةُ الْثَّلَاثِيَّةُ) فَفِي الْفَقْرَةِ الْقَادِمَةِ :

شَرْحُ الْخَطَّةِ :

سَأَشْرُحُ لَكَ الْخَطَّةَ عَلَى شَكْلِ خَطْوَاتٍ، وَكُلُّ مَا سَأَذْكُرُهُ
لَكَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْكِتَابِ الْثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ وَعَلَيْكَ أَنْ تَلْتَزِمَ بِالتَّرْتِيبِ
الَّذِي أَذْكُرُهُ لِيَحْصُلَ لَكَ التَّدْرِيجُ (فَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعْلِمِ) :

(١) احفظ نظم عبيد ربه كاملاً، وادرسه عند شيخ،
وإلا فاستمع إلى شرح صوتي مختصر عليه: كشرح الحازمي
(المختصر) أو الشرح الصوتي للعبد الفقير مؤلف
هذا الكتاب^(١).

- (٢) ثم ادرس (التحفة السنية)ولي شرح صوتي عليه.
- (٣) ثم ادرس (متن القطر) مجردًا عن شرح ابن هشام، وقد
شرحه الشيخ سليمان العيوني،ولي شرح صوتي عليه.
- (٤) ثم ادرس (شرح القطر) لابن هشام، وللشيخ عبد
الرشيد مولوي الهندي شرح غاية في الجودة والنفاسة، لكنه غير
متداول للأسف كغالب شروحاته، فإن وجدته فلا تلتفت لغيره من
الشرح، وإن لم تجد فاستمع إلى شرحه الصوتي.
- (٥) ثم هنا أنت بالخيار: إن شئت فادرس شرح الشذور
وعليه شروحات صوتية في النت،ولي عليه شرح صوتي - وإن
شئت انتقلت إلى الكتاب الذي يليه وهو:

(١) لا أخفى على القارئ الكريم أنني ترددت في ذكر شروحه الصوتية لأسباب تتعلق
بتربية النفوس وتزكيتها، وقد استشرت غير واحد منمن أثق بعقلهم وفضلهم
فأشاروا عليّ بذكرها، وذكروا لي حججاً وأقواماً لي بهم خير قدوة وأسوة،
فاللهم لا تتحقق بركة أعمالنا، وننعواذ بك من الرياء والسمعة، ونعتص بك من
أمراض النفوس وعللها، والله الموعظ.

(٦) ألفية ابن مالك: ويجب عليك حفظها كاملاً إن
استطعت، وإنما فالاحفظ منها قسم النحو (وهو قرابة ٧٠٠ بيت، فإن
لم تستطع فاحفظ الأبيات الجامدة منها) وفي هذه المرحلة تكتفي
بحفظ النظم عن ظهر قلب، مع النظر في شرح يفك لك الفاظه
فقط ليسهل عليك الحفظ، كشرح المكودي أو شرح الحربي،
وابن عقيل يفيد في هذا وإن كان لا يحلل الأبيات لكنه يشرح
المسألة بوضوح، ولبي على الألفية -بحمد الله- شرح صوتي
مختصر يقع في ٤٠ درساً، وهو -فيما أعلم- أخص شرح صوتي
عليه في (الإنترنت)^(١).

(٧) ثم أخيراً تدرس شرح ابن عقيل كاملاً.

هذا ما يتعلق بعلم النحو، أما ما يتعلق بعلم الإعراب ومعاني الحروف -وهما مختلفان عن قضايا علم النحو في الكتب الثلاثة- فتدرس كتابين فقط:

(١) الإعراب عن قواعد الإعراب مع شرح الأزهري.

(٢) ومعنى الليب لابن هشام

أما وقت دراستهما: فإما أن تجعلهما بعد الألفية، وإما أن تجعل الأول قبل الألفية والثاني بعد الألفية، والخطب يسير.

(١) تجد هذه الشروحات الصوتية في قناة (سالم القحطاني)= على موقع (اليوتيوب)، وكذلك على موقع (الشبكة الإسلامية-إسلام ويب) و(ساوند كلاود).

● تنبیهات:

- (١) الأصل في هذه الكتب هو دراستها على المشايخ إن وجدوا، فإن لم تجد فاسمع الشرح الصوتية، والخير كله في أن تجمع بين الأمرين.
- (٢) من الناس من يصعب عليه الدخول في شرح ابن هشام على (القطر) مباشرة بعد الأجرامية، لذلك اقترحت أن يدرس الطالب (المتن) مجردًا عن شرح ابن هشام فهو أسهل بمراحل، ثم يدرس (الشرح)، والأمر نسبي، وعلى المعلم أن يُقدر الأصلح والأنفع للطالب، وقد شاورت فيه بعض المدرسين فوجدته قرر على طلابه (الثمر المستطاب) للأهدل، وأعرض عن متن القطر وشرحه تماماً، ولم أرضِ ذلك، لأنني أردت أن تكون الخطة خالصة من كتب التراث المباركه.
- (٣) غير المتخصص في العلم الشرعي: يكفيه أن يصل إلى مستوى (شرح القطر) أو إلى ما يوازيه من الكتب النحوية المعاصرة، وهي كثيرة، منها كتاب (النحو الواضح).

كيف أدرس هذه الكتب؟

يظن بعض الطلبة أن المقصود من هذه الكتب هو حفظها كلها عن ظهر قلب، وليس كذلك، أما من حيث الحفظ: فيكفيك حفظ عبيد ربه والألفية فقط، وأما من حيث الدراسة فعليك أن تعتني بما سأذكره لك:

- (١) ركز على التعريفات، وحاول أن تحفظها، واعرف محترزات القيود.
- (٢) ركز على التقسيم والأنواع، مثلاً (تنقسم (لما) إلى ثلاثة أقسام) وهكذا.
- (٣) ركز على القواعد المطردة والضوابط: خصوصاً التي تجدها في غير مظانها.
- (٤) ركز على الشاهد الشعري وادرسه جيداً، وذلك بحفظه أولاً ثم معرفة موضع الشاهد ثم معرفة وجه الاستشهاد، وقد تكفل محبي الدين بكل ذلك في حواشيه جزاه الله خيراً.

هذا ما أعنيه بقولي (ادرس هذا الكتاب) وما سوى ذلك
مما تقدم: يكفيك أن تفهمه فهماً عاماً دون أن تقف عنده
ولا يطلب منك حفظه.

صناعة الإعراب

يشتكي كثير من الإخوة أنه ضبط القواعد النظرية من الكتب الثلاثة، ولكنه يخطئ كثيراً في إعراب المفردات والجمل، فما الرأي؟

هناك مقتراحات كثيرة، لكنني أقترح التالي:

ستمر بك خلال دراسة هذه الكتب الثلاثة وغيرها كثير من الشواهد الشعرية، فكلما مرّ بك شاهد: أعربه دون أن تستعين بشيء، فإذا فرغت فقارن بين إعرابك وإعراب محيي الدين -حيث أعرَبَ رَحْمَةَ اللَّهِ جميع الشواهد- وصحِّ الخطأ واثبت على الصواب واستمر، لو فعلت هذا في شواهد شرح القطر فقط = لوجدت تطوراً كبيراً، فكيف لو فعلت ذلك في شواهد الشذور وشواهد ابن عقيل؟

ومن الناس من يقترح أن تفعل مثل ذلك في إعراب الألفية، وهذا مفيد جداً لأنَّه أولاً يساعدك على ضبط الإعراب أصلَّاً

ويساعدك على فهم وحفظ الأبيات ضمنياً وتبعاً، وقارن بين إعرابك وإعراب محيي الدين للألفية في الحاشية، أو تقارنه مع إعراب الأزهري على الألفية في كتابه المسمى (تمرين الطلاب في صناعة الإعراب) وقد ذكر الشيخ الحازمي أن من أعراب الألفية كاملة واستعان بإعراب الأزهري فإنه لا تكاد تشكل عليه مسألة في النحو إن شاء الله.

ومن الناس: من يقترح نفس الطريقة ولكن مع القرآن الكريم، حيث تأخذ الآية ثم تعربها ثم تقارن إعرابك مع كتب إعراب القرآن، وهي كثيرة جداً، من كتب متقدمة أو معاصرة، ومن الكتب المعاصرة الجيدة التي رجعت لها كثيراً كتاب (المفصل في إعراب كتاب الله المرتل) طبع مرتين، مرة في اثنين عشر مجلداً، ومرة في ست مجلدات مضغوطة - وهي الأحسن - وليتها نزه كتابه من الخوض في تأويل الصفات مع أن الكتاب في إعراب القرآن ولا علاقة له بعلم التفسير، والعجيب أنه لا يتعرض للمعنى إلا عند آيات الصفات.

واعلم أن إعراب كلام الناس أسهل من إعراب كلام رب الناس، لأن الثاني بحر واسع، والقرآن حمال وجوه، وقد تضيع إذا نظرت في كتب إعراب القرآن بين الخلافات والأقوال، لذلك كان الرأي والأسهل لك أن تعرب إما الشواهد الشعرية وإما نظم الألفية، والله يحفظك.

الفَصِيلُ الْرَّابعُ
التعريف بكتب نحوية

* «سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة
لسان العرب».

ابن تيمية

كتاب وتعليق

تحت هذا العنوان، سأضع مجموعة من الكتب النحوية التي اطلعت عليها أو اشتغلت بها، ومن المعلوم أن كتب النحو بحر لا ساحل له، وليس مطلوبًا منك أن تطلع على كل هذه الكتب -سواء التي سأذكرها أو لم أذكرها- فقد تقدم لك أنك لا تحتاج لضبط أصول النحو إلا إلى ثلاثة كتب فقط، إذا أتقنتها وهضمتها فلن يعسر عليك كتاب في النحو إن شاء الله، فليس وراء ذلك إلا المران والدربة، وإنما القصد من سرد هذه الكتب مع التعليق عليها هو النفع العام والفائدة، ولن أستوعب، بل سأذكر ما يحضرني الآن.

• العوامل المائة للجرجاني:

كتاب مبارك ونافع جدًا للمبتدئي، وهو في نظرية العامل والمعمول، سهلٌ ومفتاح مهم لعلم النحو، وعليه شروح

ومنظومات كثيرة متقدمة ومعاصرة، ومن أجلّ شروحه: شرح العلامة خالد الأزهري، ولكن لأسف معظم طبعاته سيئة، ويعيّب شرح الشيخ خالد أنه حشّاه بالمسائل المنطقية، فتجاوزها إن شئت وانتفع بالكتاب.

وقد كان بعض أهل العلم يُدرّس طلابه هذا الكتاب قبل الآجرومية لتسهيل عليهم، والأمر في هذا سهل، وإن كنت أرى أن الأصلح لطلاب هذا الزمان أن يدرسوا هذا الكتاب بعد الآجرومية، ثم دراسته ليست بلازمة، بل هي مستحبة فحسب.

● نظم عبيد ربه محمد بن آب الشنقيطي:

هذا النظم على الآجرومية هو نظم عذب رائق لذيد، غاية في السهولة والوضوح، وفيه مزايا:

منها: أنه نظم على أهم كتب النحو للمبتدئين.

ومنها: أنه قصير حيث يقع في قرابة ١٥٠ بيتاً.

ومنها: أنه ترك نظم المسائل التي لا يحتاج الإنسان إلى حفظها منظومةً، بل يدركها بسهولة منثورةً، مثل تعداد الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والضمائر وغيرها، كما أنه لم ينظم (فصل المعربات) لأنها فذلكة وتلخيص للأبواب السابقة فلا حاجة إليها.

ومنها: أنه مخدوم بشرح مطبوعة وصوتية، مختصرة
ومتوسطة ومطولة .

ولهذا وغيره من المزايا أنسح الإخوة بهذا النظم المبارك،
وأفضّله على نظم العلامة شرف الدين العمريطي الشافعى .

• شرح نظم عبيد ربه للشيخ أحمد الحازمي:

شرح الشيخ النظم صوتياً مرتين، شرحاً مختصراً - وهو
نافع - وشرحاً مطولاً .

وقد فُرغ وطبع الشرح المطول فوقع في أكثر من ألف صفحة، وكما ترى هذا عدد ضخم لطالب مبتدئي، لذلك لا أنسح بشرحه الكبير، وإنما قد يصلح للمدرس إذا أراد أن يحقق مسألة مثلاً فليرجع إليه إن شاء، أما الطالب فلا أنسحه أن ينظر فيه، لأنه يشتت الذهن، وقد ينفر الطالب من النحو فلا يرجع إليه، وعذرُ الشيخ في هذا الصنيع أنه أراد أن يعني الطالب عن المرحلة البرزخية التي تكون بين الآجرمية والألفية، حيث جرت العادة أن يقرأ الطلبة شرح القطر، ولما كانت مسائل الآجرمية لا تؤهل من درسها لفهم الألفية= كان لا بد للطالب أن يدرس المتن المختصر بتوسيعٍ كي يكون مؤهلاً لفهم الألفية، وهذه طريقة الشيخ في كل العلوم، فهو إن رأى الطالب درس المتن الموضوع للمبتدئين دراسة مختصرة= أمره أن يدرس متناً متوسطاً، وإن رأه

درسه بتوسيع = أمره أن ينتقل إلى الكتاب الأخير المخصص للمتقدمين ، هذا هو رأي الشيخ وهذا اجتهاده .

• التحفة السنية للعلامة محيي الدين :

شرح مشهور غني عن التعريف ، وقد وضع الله له القبول ، فأقبل عليه الناس وانتفعوا به انتفاعاً كبيراً ، وهو شرح طيب لا بأس به ، وقد طبع عشرات الطبعات ، لكنني وجدت بعضًا من الطلبة يستصعبه لأنه يكون خالي الذهن نحوياً ، فالأفضل لمن هذا حاله : أن يدرس قبله المتن مجردًا ثم يدرس التحفة .

• شرح المكودي على الأجرمية :

شرح مختصر جداً ومبارك من رجل متقدم راسخ في النحو ، وهو عندي أسهل من (التحفة السنية) وألخص ، و(التحفة) تفوقه في وجود التمارين والتدريبات آخر كل درس ، وقد درسته للطلاب وانتفعنا به ، رحم الله مؤلفه رحمة واسعة .

• الممتع في شرح الأجرمية لمالك بن سالم :

هو شرح ممتع كاسمها ومختصر ، والمؤلف معاصر ، يركز كثيراً على الأمثلة القرآنية وهذا مفيد .

• الحوار في شرح الأجرامية للسيد الدبي:

هذا الكتاب فيه جهد طيب مشكور ، وقد اشتغلت به برهة من الدهر ، ودرسته لمجموعة طلاب من دولة الفلبين ، ومكتثنا في هذا الدرس سنتين ، ولما ختمنا الكتاب أقمنا لذلك مأدبة ونظمت فيه شعراً ، وكان الدرس هذا -على طوله- من أمتع الدروس .

المؤلف مدرسٌ عندنا في قطر ، وقد بذل جهداً كبيراً في هذا الكتاب ، ولعل بعض الناس ينصرف عن هذا الكتاب لما يرى من ضخامة حجمه ، والواقع أنه كبير حجماً لكنه صغير مضموناً ، فهو لا يتسع في الشرح ، ولكن الذي جعل الكتاب يكبر حجمه هو الخط المستعمل الكبير ، والتكرار ، والتدريبات والتمارين الكثيرة جداً بعد كل باب ، والتشجيرات والرسومات ، والحواشي والمقدمة الطويلة ، وما إلى ذلك ، كل هذا جعله كبيراً ، وإنما فناعطيه لمسائل الباب التي يتصدى لشرحها = مناسب وليس فيه تطويل .

سماه مؤلفه (الحوار) لأنه جعله على طريقة السؤال والجواب تسهيلاً على الطالب ، لذلك يستطيع الطالب أن يدرس هذا الكتاب وحده دون شيخ -إن لم يجد- وإنما فالأفضل مع شيخ بلا شك ، وكونه على هذه الطريقة الحوارية محبذ لكثير من الطلاب .

ومن مزاياه: أنه اعنى عنابة باللغة بالشواهد القرآنية، ففيه
مئات الأمثلة من القرآن والسنة كذلك.

ومنها: مقدمته فيها فوائد تتعلق بالبحث على العربية وبيان
مكانتها.

ومنها: أنه يراجع لك الدروس الماضية كي لا تنسى، فإذا
قطع شوطاً في الكتاب، وضع لك مراجعة وتطبيقات تذكرك
بما مضى.

وفي الجملة: فالكتاب جيد، ويعد إضافة جيدة لشروحات
الكتاب، وهو يفيد الطالب، ويفيد المعلم أكثر للتحضير ونحو
ذلك، وقد مدحه وكتب له تقريراً الشیخ عبد الله الفقیہ الشنقطی
-وفقه الله-.

● متن الآجرمية بتحقيق وتعليق عبد اللطیف الخطیب:

عمله جيد من حيث ضبط النص، ولكنه يتضمن الأخطاء
على ابن آجرم ويبالغ في تتبعها ونقضها، الأمر الذي يشتت
المبتدئ ولربما زهده في الكتاب.

● الأقوال الوفية شرح الآجرمية لحسن الحفظي:

كنت أستفيد من شرحه كثيراً لتحضير المادة في أيامي
الأولى للتدریس، فهو يتسع ويدرك الخلافات، وكأنه أراد أن

يُكمل المباحث الناقصة في الكتاب، عموماً الكتاب يفيد المعلم للتحضير فقط، ولا يصلح للطالب المبتدئ.

• الوفي شرح الآجرمية لعبد الحميد بن خالد:

شرح محرر ومتوسط الحجم، درّسته بعض الطلاب، ويحتوي على كثير من نصوص الوحي وفصحاء العرب.

• أيسر الشروح على الآجرمية للحربي:

سبق الكلام عنه في ثنايا الكتاب، وهو من الكتب التي يصلح أن تقرأها دون معلم، إذ كان غرضه ذلك، وهذا في حالة ما إذا كنتَ في بلد لا يوجد فيه معلمون = فإنه سيفيدك.

• شرح ابن هشام على القطر:

أ- طبعة المكتبة العصرية:

شرح ابن هشام غني عن التعريف وهو نفيس ومهم، ومن درسه عرف فضله، وأما هذه الطبعة فهي المتداولة بين الطلاب، والأخطاء المطبعية التي فيها قليلة جداً، وقدقرأناها مراراً على الشيوخ، ولينتبه أن الدار طبعته أكثر من مرة، بينها تفاوت في الجودة.

هذا وقد خرجت بعدها طبعات كثيرة أجود ضبطاً للنص من طبعة المكتبة العصرية، ثم هي -أي العصرية- تحتوي على تعليقات العلامة محيي الدين عبد الحميد، وهي في الحقيقة لا غنى لدارس الكتاب عنها، فاحرص أن تكون طبعتك محتوية عليها.

ب- طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون - تحقيق بلعيد:

هذه الطبعة متقدمة النص، وأجود في الورق والإخراج، وتعليقات المحقق نافعة جداً وجميلة، وقد أضاف جداول ورسومات توضيحية وتشجيرات = تساعد على فهم الكتاب، مع التعليق على مواطن الإشكال، فعمله مبارك جداً وطيب.

ج- طبعة دار الآثار- تحقيق أبي بلال الحضرمي :

هذه حاشية عظيمة وجليلة، تغني عن غيرها ولا يعني غيرها عنها، طبع تحقيقه وتعليقه على الكتاب في دار الآثار -صنائع، في مجلدين، وتعليقاته دقيقة وليس فيها حشو، ولا يستغني عنها الطالب والمعلم على حد سواء، ويعرف مواطن الإشكال ويجيب عنها بأحسن جواب، ونقولاته تدل على اطلاع واسع، جزاه الله خيراً ونفع الله به.

• حاشية السجاعي على شرح القطر:

حاشية مختصرة، فوائدتها قليلة، يمكن الاستغناء عنها.

● حاشية الآلوسي على شرح القطر:

ليست مكتملة، وأكملها ولده، لغته عالية، ويقحم المنطق في النحو، من مزاياه أنه يرصد الإشكالات ويتنبه لها.

● المنظومات على متن (قطر الندى):

لا تحتاج أن تحفظ منها شيئاً: وضع جهدك ووقتك كله في حفظ الألفية فهي كما قيل: «كل الصيد في جوف الفرا»^(١).

● الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام:

متن مختصر ونافع، وفيه فوائد وتنبيهات لا تقاد تجدها مجموعة عند غيره، ومن أهم مباحثه معرفة الجمل التي لها محل والتي ليس لها محل، وقد درسته بحمد الله مع شرحه الآتي على الشيخ عبد الرشيد الهندي، وهو مختصر من «معنى الليب» كما أشار ابن هشام لذلك في مقدمة «المعني».

(١) مثل عربي مشهور، والفراء: الحمار الوحشي، والجمع: فراء، وهو مثل يُضرب للشيء الذي يُعني عن غيره ويفوق أقرانه، وله قصة، خلاصتها: «أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصدلين، فاصطاد أحدهم أربنا، والآخر ظبيا، والثالث: حماراً، فاستبشر صاحب الأربن وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: (كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا)، أي: هذا الذي رُزِقْتُ وظَفِرْتُ به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أَعْظَمُ من الحمار الوحشي» (مجمع الأمثال) للميداني.

أنصح بدراسته ولكن بعد أن تقطع شوطاً في النحو بأن تكون انتهيت من شرح القطر مثلاً أو شرح الشذور، فادرس هذا المتن، ولو درسته مع شرحه الآتي فهو خير وهو:

• **موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد الأزهري:**

أنا مغرم بهذا الرجل وجميع مؤلفاته - لا سيما مؤلفاته النحوية - وهو رجل عصامي، طلب العلم بعد الثلاثين فيما قيل بسبب طالب أزهري نعنه بالجهل ، وقصته ملهمة، وله ولع كبير بمؤلفات ابن هشام، فهو مهذب ومنقح علومه، توفي عام ٩٠٥ هـ، وإنما نبهت على سنة وفاته لأنني رأيت بعض الطلبة يظن أنه رجل معاصر وذلك لاسميه (الشيخ خالد) وأيضاً لسهولة أسلوبه، والرجل لا شك أسلوبه سهل، لكنه من السهل الممتنع، وأنا أنصح بتحصيل جميع مؤلفاته النحوية ففيها خير عظيم وسيأتي التنبيه على أجل وأهم كتبه.

تتسم مؤلفاته عموماً بالترتيب وحسن العرض، وله عنایة باللغة بالشاهد القرآني .

• **شرح شذور الذهب لابن هشام:**

كتاب عظيم وفاخر من عيون مصنفات الإمام، طعمه كالشهد بل أحلى، وهو ذهب كاسمه، هجره الطلاب وانصرفوا

إلى القطر = لأنه أكبر حجماً منه، وقد فاتهم بذلك خير عظيم، الكتاب شرح على متن وضعه ابن هشام نفسه وسماه (شذور الذهب في معرفة كلام العرب) ثم شرحه (ولم يلقب الشرح بلقب) فأتى فيه بالفوائد العظيمة والمسائل الجليلة وبالعجب العجاب، ونشر فيه قواعد وضوابط مهمة جداً، وفيه نفائس ودقائق تتعلق بعلم التفسير رائعة جداً، فرحمه الله عليه وما أعظم منته على عشاق العربية، أما طبعات الكتاب:

أ- طبعة المكتبة العصرية على الشذور:

هي الطبعة الأكثر تداولاً، ومكثنا مدة لا نعرف غيرها، وتحتوي على تعليقات محبي الدين وهي مهمة كما ذكرت آنفًا، نعم فيها بعض الأخطاء المطبعية.

ب- طبعة دار ابن كثير على الشذور:

هي أتقن من طبعة العصرية من حيث ضبط النص، وقد صحفوا كل الأخطاء المطبعية التي في طبعة العصرية، وقد تدارست هذا الكتاب مع أحد الطلبة وكان هو يقرأ من طبعة دار ابن كثير وأنا ممسك بطبعة العصرية، فأصلحت منها مواضع، وبيان لنا بهذا أن طبعة دار ابن كثير أضبط.

ج- طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون - تحقيق بلعيد:

طبعة حديثة صدرت هذا العام (٢٠١٩ م) وقد اقتنيتها ولكن لم يتيسر لي بعد قراءتها كاملةً، وإنما نظرت فيها نظرات وبدا لي

أنه سلك فيها نفس مسلكه في شرح القطر، فإن كان فعل ذلك
فلعلها ستكون أجودطبعات إن شاء الله.

● الألفية- لابن مالك:

المنظومة العذبة التي طبقت الآفاق، ولا تغيب عنها
الشمس، فلا يدرى إلا الله كم من شارح ودارس وحافظ وقارئ
ومترجم لها!

أجودطبعتين لها:

طبعة دار ابن الجوزي -تحقيق الشيخ عبد الله الفوزان-
وهي النسخة التي اشتغلت بها.

طبعة دار المنهاج تحقيق الشيخ سليمان العيوني: وهي
أفضلطبعات الكتاب.

● ألفية السيوطي، وألفية ابن الآثاري، وألفية ابن معطٍ:

لا أنصحك بحفظ شيء من الألفيات سوى ألفية ابن مالك،
لأسباب، منها: أنه يصعب أن تجد أحداً يشرحها لك، وليس
مخدومة، وليس من الحكمة في شيء أن ترك كتاباً تتبع عليه
العلماء قرناً عن قرن وكتبوا عليه عشرات الشروح والحواشي
وتذهب إلى كتاب ليس عليه إلا شرح أو ثلاثة.

● شرح ابن عقيل:

هو الشرح المعتمد في كثير من البلدان، وسمعت بعض الإخوة يقول (هو شرح البنات) وذلك لسهولته ووضوحته، لذلك لا حاجة إلى تلك الكتب التي تقوم (بتسهيل) أو (تقريب) أو (تهذيب) أو (ترتيب)= شرح ابن عقيل، لأنه في نفسه واضح وسهل، والإفراط في التسهيل قد يؤدي بالذهن إلى البلادة، وللكتاب طبعات كثيرة:

أ- طبعة المكتبة العصرية:

هي الطبعة المشهورة للكتاب، ومعها تعليقات محيي الدين، ولا غنى لك عنها، لكن فيها بعض الأخطاء المطبعية والسقط.

ب- طبعة دار العلم للملاين:

ممتازة، في مجلد واحد.

ج- طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون:

هي أفضل طبعة وقفت عليها، ومعها تعليقات محيي الدين، وصححوا الأخطاء المطبعية الموجودة في طبعة العصرية، وزادوا عليه تعليقات جيدة، وأضافوا الرسومات والتشجيرات التوضيحية، وبديله فوائد منتفقة من كتب النهاة.

● حاشية الخضري على ابن عقيل:

حاشية مختصرة ومفيدة، لكن معظم طبعاتها رديئة،
ولا يستغني عنها من يدرس شرح ابن عقيل، وكان الشيخ الحازمي
يجلها، ويرى أن من استوعبها مع ابن عقيل فقد يستغني عن
الأشموني، لأن الشيخ يرى أن ابن عقيل لا يكفي طالب العلم
بل لابد أن يزيد عليه، وهذه الزيادة إما أن يأخذها من الأشموني
أو من الخضري وذلك أضعف الإيمان.

● أوضح المسالك لابن هشام:

كان مقرراً علينا في الجامعة كما أسلفتُ، وهو وإن كان
ظاهره شرحاً إلا أنه في الحقيقة (متن) يحتاج إلى (شرح) لذلك
تصدى لشرحه العلامة خالد الأزهري كما سأتأتي، الكتاب صنفه
ابن هشام بطريقة مركزة وألفاظ مضغوطة كي يسهل حفظه لمن
أراد، وأسلوبه فيها عاليٌ، ولكن الله لم يكتب له الانتشار
والتداول -في عصرنا- مثل شرح ابن عقيل والمكودي مثلاً، وقد
اشتغل عليه محبي الدين وعلق عليه بتعليقات نافعة وأخرجه
للناس في أربعة أجزاء عند المكتبة العصرية، ومن عيوب الكتاب
أنه لا يتعرض لأبيات الألفية، فهو يشرح المسألة دون شرح

الأبيات وكأن الأبيات غير موجودة، وهذا لا يفيد من يستغل بالألفية وإنما يفيد الباحث عموماً، ولا يورد بيت الألفية إلا إذا أراد نقه، والمشتغل بحفظ الألفية يهمه جداً الشرح الذي يعني بفك ألفاظ المنظومة.

وللكتاب طبعات حديثة أخرى، وعلى كل حال فالذي أنصح به الطالب إذا ضبط ابن عقيل أن يطالع (شرح الشرح) وهو كتاب :

• التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري:

وهو أجل مصنفاته النحوية، ومن درر كتب النحو، ومن أحب كتب النحو الموسعة إلى، وحسبك أنه اجتمع في كتاب واحد عمل لثلاثة علماء أجلاء وهم (ابن مالك - ابن هشام - الأزهري) وحسبك بكتاب نحوي يجتمع فيه هؤلاء الثلاثة .

لا ينبغي أن يفوتك هذا الكتاب من ضبط ابن عقيل وأراد أن يتسع في النحو، فهو كتاب يملاً كفيك درراً، مع لغة سلسلة عالية، وعنایة كبيرة بالشاهد القرآني .

الكتاب عبارة عن شرح (ممزوج) على شرح ابن هشام على الألفية، فهو شرح لشرح، وقد وفق الأزهري في هذا المزج حتى إنك لتظن أنه كتاب واحد لا اثنان، فللله دره .

الكتاب للأسف الشديد له طبعة متقدمة واحدة وهي رسالة علمية في خمس مجلدات، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إبراهيم، وهي للأسف نادرة الوجود، وباقى طبعات الكتاب المتداولة ليست بذلك.

وللشيخ ياسين حاشية على التوضيح مطبوعة في مجلدين عند دار الفكر، لكنني لم أشتغل بها.

● شرح الأشموني:

شرح متوسط الحجم رائع وجميل، ليس بالمختصر المدخل ولا بالطويل الممل، واعتمده الشيخ الحازمي في شرحه الصوتي على الألفية، بل معظم شرحه على الألفية استمد منه، ومن ضبط ابن عقيل يستطيع أن يقرأه وحده ويستمتع به، وأنصح الطالب أن يأخذ فوائده الرائدة وينقلها على نسخته من ابن عقيل.

للكتاب طبعات كثيرة، معظمها تجارية للأسف، والطبعة التي اشتغلت بها هي (الأزهرية) وفيها أخطاء كثيرة، لكنها أخطاء واضحة، وهناك نشرة لمحيي الدين عبد الحميد للكتاب مجردًا عن التعليقات والحواشي، وهي نادرة، وله عمل آخر على الأشموني مع التعليقات والحواشي، ولكنها ليست كاملة حسب علمي، وهناك طبعة لدار الطلائع اقتنيتها لكن لم يتيسر لي التدقيق فيها، وأرجو أن تكون خير الطبعات.

• حاشية الصبان على شرح الأشموني:

لا تحتاج أن تقرأها كاملة، وفيها تلك التشقيقات المنطقية، ولكن مع ذلك إذا كنت ستطالع الأشموني فإنك تحتاج أن ترجع إليه لحل بعض الإشكالات فحسب وللاطلاع على الآراء الأخرى في المسألة.

• شرح المكودي:

معتمد عند المغاربة، مختصر غير مخل، ويعتني بألفاظ الألفية، ويعرّب أبيات الألفية في ختام شرح كل بيت، وهذه ميزة مهمة، لأنّه يساعد على التدريب، وإعرابه فيها مختصر جدًا مما ساعد على صغر حجم الكتاب، إذن هو شرح وإعراب للألفية في مجلد واحد لطيف، وهذه ميزة أيضًا، وذلك لأنّ العلماء بلغت عنائهم بالألفية أنّهم أعرّبواها في مصنفات مستقلة، ككتاب «إعراب الألفية» لابن طولون، وإعراب الشيخ العلامة خالد الأزهري المسمى «تدريب الطالب على صناعة الإعراب»، وهو مفید جدًا وخير طبعاته طبعة دار ابن حزم.

أسلوب المكودي مباشر وجميل، وهو يقوم مقام ابن عقيل عند بعضهم، ويُقال إنّ المكودي هو الذي أشهّرَ الألفية بين المغاربة، ولا بن حمدون حاشية جميلة عليه، طبعتها دار الفكر.

● شرح برهان الدين ابن القيم على الألفية:

شرح مهجور لأحد أولاد ابن القيم وهو برهان الدين إبراهيم، يقع في مجلدين، نشرته دار أضواء السلف، اطلعت عليه قديماً: وهو جيد.

● شرح السيوطي على الألفية:

هو الشرح المعتمد عند أهل العراق وإيران خصوصاً الرافضة، مختصر جداً أشبه بالمتن منه بالشرح، وللقوم عناء كبيرة به، وهو عندهم كابن عقيل عندنا، وللرواوض عليه حواشٍ، وله طبعات كثيرة، ومن الطرائف أنني وقفت على طبعة إيرانية زعم صاحبها في المقدمة أن السيوطي كان سنياً ثم صار رافضياً، ومن كذب على الله ورسوله ﷺ ليس عسيراً عليه أن يكذب على العلماء.

● ملحة الإعراب للحريري:

من أعدب المنظومات النحوية، ولشدة وضوحتها لا تحتاج إلى شرح، ولكنني لا أنصح بحفظها، فالخير الذي فيها موجود في الألفية وزيادة، ولكن طالعها إن شئت بعد دراستك وضبطك

لشرح القطر، واختر منها الأبيات التي تروق لك، وهذا على
سبيل الاستحباب لا الوجوب.

• همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى:

موسوعة نحوية ضخمة، في سبعة أجزاء، وهي كالمعنى
لابن قدامة عند الفقهاء، ولا يفوقها في الموسوعية إلا شرح
الشاطبي على الألفية، الكتاب مرجع مفيد لك إذا أردت التوسع
في مسألة ما أو البحث فيها، فهو يحشد جميع الأقوال، ويفيد في
هذا الباب.

• الشرح الميسر على الألفية للحربي:

هو شرح موجز جدًا يصل إلى حد الاختصار المخل في
بعض الموضع، لأنه أقرب إلى حل المنظوم فقط مع التمثيل،
ومعنى حل المنظوم: تحويل الأبيات الشعرية إلى كلام نثري،
وهذا في الحقيقة نافع لمن أراد أن يحفظ الألفية فقط، ولا يريد
الدخول في تفاصيل شرح البيت، وإنما يريد فهم البيت فهماً
إجماليًا عامًا ليسهل عليه حفظ البيت، لأن حفظ أي كلام دون
فهم له أئسر من حفظه مع فهم، فمن كان غرضه هذا، وأراد أن
يعتكف على الألفية حفظاً ثم بعد ذلك سيتفرغ لاستشراحها = فإن

هذا الكتاب سيكون خير معين له، لأنَّه كالمفكرة والمذكرة، وأما من أراد شرح البيت بإسهاب وإعطاء البيت حقه من منطوق ومفهوم وقيود واحترازات وخلافات = فالكتاب لن يفيده، لأنَّ مؤلفه لم يضعه لذلك، وللشيخ مادة مرئية على اليوتيوب بعنوان (نشر الألفية) يفعل فيها ما ذكرته لك، وهي تفيد الحفاظ، وتفيد من أراد المراجعة السريعة.

وهذا أصلٌ في تقييم الكتب:

فإنك تجد بعض الناس يُطلق القول في كتابٍ ما فيقول هذا سيء وهذا جيد، وهو يريد أنه سيء من وجه معين، وما من كتاب - غالباً - إلا وتنتقده من وجه وتحسن من وجه آخر، ولذلك قال ابن الجوزي (لا يخلو كتاب من فائدة) فإذا عرفت هذا استطعت أن تستفْعَ بـكثير من الكتب التي يقولون عنها سيئة!

• دليل السالك إلى ألفية ابن مالك - للفوزان:

الشيخ عبد الله مؤلفاته طيبة ونافعة، وهو يجتهد في إخراج كتبه وتحريرها، يقع شرحه هذا في مجلدين، ويُعد من الشروح المتوسطة، استفاد فيها من شرح ابن عقيل، وزاد عليه زيادات كثيرة، للشيخ قدرة ظاهرة على شرح المسائل وترتيبها وحسن عرضها، وشرحه هذا عندي هو أحسن الشروح المعاصرة على الكتاب، وكنت أرجع إليه كثيراً إبان اشتغالِي بحفظ الألفية، وقد

استفاد من كتب النحو المتقدمة والمعاصرة، مما يدل على اطلاع واسع عند الشيخ، ويأتيك كذلك بأمثلة مبتكرة.

• النحو الوافي لعباس حسن:

وهو كتاب معاصر في أربع مجلدات، بمثابة الشرح على الألفية وإن لم يصرح بذلك، وقد جعله على قسمين: قسم للطلاب، وقسم للأستاذة والمتخصصين، وذلك في كتاب واحد، وقلما رجعت إليه في مسألة لم أفهمها إلا وفهمتها منه، لأنه يسهب في الشرح والتوضيح وضرب العديد من الأمثلة، ثم هو يحشد ما قيل في المسألة ويختار منها قولًا، ويميل غالباً إلى التسهيل، ويظهر من كتابه أن الرجل ذكي ومستوعب لكلام النحاة، ويورد عليهم اعترافات كثيرة، وينتقد أحياناً بشدة ولا يبالغ.

في الجملة: الكتاب ينبغي أن يكون في مكتبتك ترجع إليه عند الحاجة ولا يلزم أن تقلده في كل آراءه و اختياراته.

• النحو الواضح لمجموعة مؤلفين:

شرحته مرة واحدة في دورة شرعية لغير العرب، ولكن لم أشرحه كاملاً، وهو سهل، ويصلح لغير المتخصصين في النحو.

وهنا أحب أن أسجل كلمة تتعلق بكتب المعاصرين
النحوية تحديداً:

من الناس من يرفض كتب المعاصرين كلها، ومنهم من يتربى عليها من البداية إلى النهاية، ورأيي في هذا وسط بين الأمرين، فخذ من كتب المعاصرين الجيد النافع فإنك ستحتاج إليها أوائل الطلب، واجعلها كالمفتاح لدخول باب النحو، فإذا دخلت ووصلت فعليك بالنبع الأول وكتب المتقدمين فهي الخير كله، وعليها ينبغي أن يتربى الطلبة، وبها تنامي المملكة أسرع وتقوى، هذا بالنسبة لطلاب العلم الشرعي، أما عموم المثقفين وغير المتخصصين فكتب المعاصرين تغنيهم وتكتفيهم وزيادة.

• شرح الحازمي الصوتي على الألفية:

يقع في ١٣٨ درساً تقريباً، بعض دروسه في ساعة ونصف وبعضها في ساعتين، وقد استمتعت إلى شرحه كاملاً، وهو يشرح البيت بإطناب، ثم إذا انتهى من الشرحقرأ شرح ابن عقيل قراءةً سريعة ولا يقف عنده ولا يعلق إلا نادراً، لأنه يكون قبلها قد أشبع المسألة شرحاً وبحثاً، وكثيراً ما يتعرض لاعراب أبيات الألفية لا سيما المشكل منها، ويتوسع في الشرح، ويعتمد اعتماداً شبه كلي على شرح الأشموني وحاشية الصبان، وشرحه جيد ونافع لمن أراد التوسيع، وأحياناً يبالغ في التوسيع فيشرح البيتين

في ساعة، لذلك شرحه لا يصلح أبداً لمن يدرس الألفية أول مرة، وإنما يصلح لمن ضبط ابن عقيل ثم أراد أن يتسع.

● شرح عبد الرحمن كوني على الألفية - صوتي:

شرحه على النظم، وهو شرح مختصر غير مكتمل حسب ما وقفت عليه، والشيخ من أهل هذا الفن، وقد شافهني الشيخ خالد السبت -وفقه الله- بأن الشيخ كوني ورث العلم وراثةً من العلامة الكبير شيخ مشايخنا أحمد الشنقيطي المدنبي رحمه الله، الذي كان آية من آيات الله في العلم، ورأيت الشيخ عبد العزيز الحربي يعظمه ويجله، وقد ترجم له ترجمة مختصرة ممتعة في صدر شرحه المطبوع على (قصورة ابن دريد) فانظرها.

● معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي:

هذا الكتاب من مفاخر هذا العصر، جمعه مؤلفه في عشر سنوات من البحث والجد والتنقيب والتأمل، وقضيته في الكتاب هي التركيز على المعاني، والفرق في (المعنى) بين أسلوب وأخر، مثلاً: ما الفرق بين قولك: «لا رجلٌ في الدار»، و «ما رجلٌ في الدار»، وغير ذلك كثير مما هو مثبت في الكتب النحوية، فجمعها الشيخ في كتاب واحد مع دراستها دراسة دقيقة، وجاء كتابه في أربع مجلدات، ولن يستمتع بهذا الكتاب إلا من

انتهٰى من ضبط ابن عقيل، ودرس شيئاً من الصرف، وضبط مختصرًا في البلاغة.

● مغني اللبيب عن كتب الأعريب لابن هشام:

جوهرة مؤلفات ابن هشام، وكنزه الشمرين، وبحره الزاخر، تتابع عليه العلماء شرحاً وتحشيةً ونظمًا واختصاراً، حتى إن بدر الدين الدمامي شرحه ثلاث مرات، وهو الكتاب الذي لا يستغني عنه نحوي، وله طبعات كثيرة منها طبعة محبي الدين، وطبعة عبد اللطيف الخطيب -وفيها أخطاء- وأحسنتها طبعة قباوة في مجلد واحد ضخم، واختصاراته كثيرة: منها مختصر ابن عثيمين، ومختصر الخطيب وهو أحسنها، وإن كانت لك همة فاختصره أنت لنفسك، ولا يعرف قدر هذا الكتاب إلا من طالعه، ولا تطالعه إلا بعد ضبطك لابن عقيل ثم تدرس (الإعراب عن قواعد الإعراب) ثم تختتم بالمغني، وهو مغنٍ كاسمه، وأحسب أنه آخر ما تحتاج أن تدرسه من الكتب، وبهذا وصلت إلى آخر الكتب التي أحببت تعريفك بها.

الخاتمة

وفيها وصايا

«من تبحر في النحو اهتدى إلى كل العلوم»

الشافعي

• هذه المخطة الأخيرة لي معك أيها القارئ الكريم، وأحب في الختام أن أوصيك بهذه الوصايا علّ الله أن ينفعك بها :

(١) لا تلتفت لمن يقول (النحو صعب وثقيل) بل هو سهل وممتع إذا درسته على وجهه الصحيح، وفيه رياضة ذهنية ودقة ترفع من مستوى الذكاء عند الإنسان، وكيف أكون صريحاً معك فإن المقدار الذي تحتاجه من النحو هو السهل، والصعوبة تكمن في الخلافات العالية والعلل، وهي الأمور التي لا يحتاجها إلا المتخصص.

(٢) اصبر وصابر ولا تستعجل الثمرة والنتيجة، فالعجلة لا تكون لك الملكة، وقد ذكروا عن الشيخ مقبل الوادعي أنه درس شرح القطر ست مرات كي يفهمه، وكان أصحابه يمرؤون به ويضحكون عليه، وما ضره ذلك في شيء، ومثل هذا الخبر من التكرار لكتاب الواحد حصل لجماعات من أهل العلم في القديم والحديث.

(٣) النحو علم تراكمي، سلسلة متربطة بعضها ببعض، فإذا لم تفهم الدرس الأول لن تفهم الثاني، وإذا لم تفهم الثاني لن تفهم الثالث، وهكذا، فاحرص ألا تنتقل لباب جديد إلا وقد فهمته - ولو فهماً مجملًا - وهذا بخلاف علم (الفقه) مثلاً فيمكن

أن تدرس كتاب البيوع وتفهمه وأنت جاھلٌ تماماً بكتاب الطھارة، وهكذا.

(٤) استمع لهذه الوصية جيداً: لا يشترط أن تفهم كل سطر وكل كلمة في الكتاب، يكفيك أن تفهم معظمها، خصوصاً في الكتب المتوسطة فما فوق، ببساطة لأن ما لم تفهمه اليوم ستفهمه غداً، أما أن تكون ممن إذا لم يفهم مسألة توقف عندها ولم يتحرك = فسيطول عليك الأمر وأخشى عليك من الملل والفتور ثم الترك الكلي، ولا تتعارض هذه الوصية مع الوصية التي سبقتها، لأنني أقول يكفي أن تفهم الباب إجمالاً كي تنتقل إلى الذي يليه، ولا يشترط أن تفهم (كل) مسألة تحت هذا الباب، بل يكفي فهم معظمها.

(٥) النحو فيه ما يُحفظ، وفيه ما يُفهم، كأي علم، وكلاهما ضروري لك، ومما أضر بكثير من الطلاب أنهم لا يريدون أن يحفظوا، والحمد لله أن الذي تحتاج حفظه قليل بالنسبة إلى ما تحتاج فهمه، وقد ذكرته لك سابقاً وهما (نظم عبيد ربه والألفية) فحسب، ثم تجعل طاقتك كلها في الفهم والممارسة.

(٦) النحو وسيلة وليس غاية، فخذ من النحو حاجتك ولا تُفنِ عمرك فيه ثم انطلق في العلوم الشرعية، وحين نقول (خذ

حاجتك ثم انطلق) لا نقصد أن تترك النحو وراءك ظهرياً، بل المقصود خذ حاجتك واصحبه معك في فهم كل العلوم، لأنك ستحتاج إليه في كل كلام عربي تقف أمامه بل في كل جملة بل في كل كلمة بل في كل حرف، وهذا مما يبين لك أهمية وخطر هذا العلم، وهذا بخلاف غيره من العلوم فمثلاً علم العروض والقوافي لن تحتاجه مع جميع النصوص، بل مع الشعر فقط، ولغرض معين وهو معرفة المكسور من المستقيم، ونسبة الشعر إلى النثر = أقل بلا شك، وقل مثل هذا في كثير من العلوم.

(٧) الغاية من النحو أن تحسن القراءة والكتابة والكلام، وتستعين به على فهم نصوص الوحي، فلا خير في رجل يحفظ الألفية كالفاتحة ثم هو لا يحسن أن يكتب جملة نافعة، ولا أن يلقي كلمة حسنة ولا يقرأ نصاً سليماً.

(٨) لذلك احرص على الممارسة (التطبيق)، تكلم بالعربية واكتب بالعربية، وإلا فلافائدة من دراستك لهذه الكتب، ولا تُتعب نفسك.

(٩) إذا فهمت الآجرورية جيداً، فاحرص على تدريسها ولو لطالب واحد، فتدريسك لكتاب مرة خير لك من تكراره عشر مرات، وهذا ثابت بالتجربة، ولا تلتف لمن يقول (التدريس للعلماء) فهذا خطأ وخلط عظيمان، أما كونه خطأ: فلأنه مخالف للواقع، وأما كونه خلطاً: فلأن هذا القائل لم يفرق بين التصدر

والتدريس، التدريس الذي أقصده هو أن تنزوي أنت وصاحبك في مكان ما، وتشرح له، وهو ما نسميه (بالدرس الخاص)، ولست أقصد أن تجلس لعامة الطلاب والناس ويلتف حولك الطلبة ويكون درسك مقصوداً مشهوداً معلنًا عنه عند الجميع، وهو ما نسميه (بالدرس العام) فهذه مرحلة لاحقة، وإياك أن تستعجلها، فقد قيل (حب الظهور يقصم الظهور).

(١٠) لا تُكثِّر التنقل بين الشروح والكتب، في مرحلة التحصيل الأولى عليك بالتركيز على كتاب واحد، وشرح واحد، وشيخ واحد، إنما كثرة الشروح تكون للمعلم ليحضر منها، أما أنت فيكيفيك ما ي قوله لك الشيخ في الحلقة.

• وأما إخواني المدرسون فأوصي نفسي وإياهم التالي:

(١) احتساب الأجر عند الله بِعَذْنَكَ في تعليم العربية في هذا العصر الذي طغت فيه العجمة والأعممية، وصار العرب -قبل غيرهم- يسخرون من لغتهم، فاعلم يا معلم النحو والعربية أنك على ثغر عظيم وباب جليل، وأن تعليم الناس هذا العلم من فروض الكافيات ومن أجل الطاعات كما نص عليه جماعات.

(٢) لا تستعرض عضلاتك على الطلبة، وجاحد نفسك على ألا تُلقي عليهم ما يضرهم ولا يحتاجونه في هذه المرحلة الأولى تحديداً.

(٣) احرص على أن يعرب كل طالب عندك، في كل درس، ولا تكتفي بشرح الكتاب نظريًا، ولا تكتفي أيضًا بإعرابك أنت لهم، بل لا بد أن يعرب الطالب بين يديك.

(٤) في المرحلة الأولى أقترح عليك أن تقتصر على الإعراب الإجمالي دون التفصيلي، وهو الذي يسلكه ابن هشام في بعض مصنفاته، كأن تقول مثلاً في (قام زيد) فعلٌ وفاعلٌ، وفي (بزيد) جار و مجرور، وفي (لم يلد) جازم و مجرزوم، وفي (لن تضرب) ناصب و منصوب، وهلم جرًا، هذا أول الأمر فقط، ثم توسيع معه بعد ذلك.

(٥) الطلاب متفاوتون في قدراتهم الذهنية، ومن عيوب التعليم الجماعي = وضع الجميع في سلة واحدة، والتعامل معهم تعاملًا واحدًا، وأنت بفراستك و اختبارك غير المباشر لهم تستطيع أن تميز بين مستوياتهم، وعليه عليك أن تراعي أن هذا الطالب قد لا يصلح له أن يكون أول كتاب يدرسه مثلاً (التحفة) وذلك لأنك لمست منه ضعفًا شديداً في الاستيعاب، فحينئذ انقله مباشرة إلى (المتن) مجردًا عن الشرح أو نظم عبيد ربه، ثم بعد ذلك اشرح له (التحفة)، وهكذا فاصنع معه إن رأيت أن (شرح ابن هشام على القطر) لا يصلح له فانقله إلى (متن القطر) مجردًا، وهلم جرًا.

(٦) احرص في المرحلة الأولى على تجنب الخلافات النحوية.

(٧) أحياناً تمر بك مسألة أجنبية عن النحو مثل مسألة بلاغية أو صرفية أو منطقية، فإن كنت في المرحلة الأولى والمتوسطة فلا عليك ألا تشرحها ولا يضرك، خصوصاً مسائل المنطق ينبغي أن تتجنبها، وقد عاب بعض أهل العلم على النحاة إدخالهم تعريف المفرد -مثلاً- على طريقة المناطقة في كتب النحو، وقالوا إنه من باب تداخل العلوم.

(٨) التزم في درسك الكلام بالعربية المستقيمة، وإياك والعامية الدارجة، ولا يغرنك تساهل بعض الأكابر في ذلك، ولأن تتكلم بالعربية فـ**تُخطئ**= خيرٌ من أن تتكلم في درسك بالعامية، لا سيما والدرس في النحو! نعم لا بأس أن **يُطعم** الإنسانُ درسه ببعض الكلمات العامية من باب تلطيف الجو وتقريب بعض الأمور لذهن الطلبة، لكن أن يكون الدرس كله أو معظمها بالعامية الدارجة= فهذه والله جريمة نكراء في حق العلم وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية «وإنما الطّريق الحَسَن= اعتياد الخطاب بالعربية»، حتى يتلقنها الصغار في الدُور والمكاتب، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنّة وكلام السَّلَف».

(٩) احرص على (أمثلة النحو) ولا تستهين بها، فهي مقصودة، وستجدها أمامك في كتب التفسير وشروح الحديث

والفقه وكثير من العلوم، وربما اختصر العلماء المسألة في كتب العلوم الشرعية فيقولون هذه المسألة مثلاً من باب (الكحل) أو من باب (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) فيذكرون مثالها الشهير عند النحاة دون شرح ولا تفصيل لها، فمن لم يعرف ويعد على أمثلة النحاة الشهيرة التي رمزوا بها لأبواب معينة = فإنه قد يشكل عليه، نعم لا بأس أن تزيد على أمثلة النحاة = أمثلة من عندك، ولكن المقصود ألا تهمل أمثلتهم بالكلية.

(١٠) التمثيل من الوحي -بعد أمثلة النحاة- يزيد القاعدة جمالاً ويقنع طالب العلم الشرعي -عملياً- بأهمية النحو، وحاجتنا الشديدة إليه في فهم الوحي، فاحرص على ذلك لعلَّ أن يبارك في جهودك وينفع بك.

* تلك عشرة كاملة.

وهي ختام هذا الكتاب المختصر، أسأل الله أن ينفعك بما فيه، وأن يرزقنا وإياك العلم النافع والعمل الصالح، والله الموفق والهادي.

سالم القحطاني

٥ شعبان ١٤٤٠ هـ

٢٠١٩ م ١٠

في جو السماء



مَدَارِجُ النَّوْ

البغض الشديد للنحو

كنت قد يمّا أبغض علم النحو بغضًا شديداً، وقد قرأت أن العلامة شيخ العربية في هذا العصر محمود شاكر رحمه الله كان كذلك يبغض العربية، ولست أدرى من الذي زرع في قلبي هذا البغض الشديد، نعم (من جهل شيئاً عاداه) ولكن أحياول الآن أن أتذكري موقفاً محدداً أو شخصاً معيناً كان سبباً في هذه الجريمة وهي بغض العربية = إلا أنني لم أفلح.

هل كانت المناهج المقررة في المدرسة هي السبب؟ أم المدرسوون؟ أم أنا؟ أم كل ذلك؟



FOR TRANSLATION
AND PUBLICATION

